

المثل السائر

فقال هشام ولم ذلك ؟ قال .

(إِنْ نَزَّهْتُ قَدْرًا مِّنْ مِّنِّي خُطْبَةً ... لَمْ يَرْمُهَا قَبْلَهُ مِنِّْي أَحَدٌ) .

قال ما هي ؟ قال .

(رَاحَ جَهْلًا بِي وَجَهْلًا بِأَبِي ... يُدْخِلُ الْأَفْعَى عَلَى حَيْسِ الْأَسَدِ) .

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئاً لم أنكره عليك .

ومن أطف ما سمعته في هذا الباب قول أبي نواس في الهجاء .

(إِذَا مَا كُنْتُ جَارَ أَبِي حُسَيْنٍ ... فَذَمُّ وَيَدَاكَ فِي طَرَفِ السَّيْلِاحِ) .

(فَإِنْ لَّهُ نِسَاءً سَارِقَاتٍ ... إِذَا مَا بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ) .

(سَرَقَنَ وَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ أَيْرِي ... فَلَمْ أَطْفِرْ بِهِ حَتَّى

الصَّبَاحِ) .

(فَجَاءَ وَقَدْ تَخَدَّشَ جَانِبَاهُ ... يَتَنُّ إِلَىَّ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ) .

فتعبيره عن العضو المشار إليه بأطراف الرماح تعبير في غاية اللطافة والحسن .

وقد أدخل في باب الكناية ما ليس منه كقول نصيب .

(فَعَاجُوا فَأَتُّنُوا بِاللَّذِي أُنْتُ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَتُّنْتُ

عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ) .

وهذا يروي عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة فإن

الكناية هي ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز ههنا لا يصح

ذلك ولا يستقيم لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً وهذا من باب التشبيه المضمحل الأداة

الخارج عن الكناية والمراد به أن في الحقائب من عطايك ما يعرب عن الثناء لو سكت

أصحابها عنه .

وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية فإنه لا يحسن استعماله لأنه عيب في الكلام

فاحش وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه